**هيدغر من الانطولوجيا الى الفينومينولوجيا:**

**مدخل:**

**هيدغر ..حوار مع الأصول**

يقف "هيدغر"(م)-1889-1976- في كتاباته الأساسية على ضرورة الدخول في حوار مفتوح مع الإغريق، موضحا الكيفية التي يصير من خلالها البعيد قريبا و الأكثر قربا غريبا . فالإغريق يمثلون بالنسبة إليه تحد عظيم ، خاصة عندما ننخرط في البحث عن الكيفية المناسبة التي نتمكن من خلالها التعامل مع تجربتهم الفلسفية بمرونة ، إذ مثلوا في نظره "المواقعيون "Topologistes الأوائل للوجود. إشارة كثيرا ما يعبر عنها داخل اللغة :" هذا ما جعل هيدغر ينفتح جذريا على سؤال- الوجود من موقع اللغة ، ولم يكن أبدا من موقع مؤرخ للفلسفة مشدودا إلى معاودة تأسيس النظام المعرفي، و إنما ارتبط تحديدا بفكر مشدود إلى معاودة التأسيس مفهوم الميتافيزيقا".فالحضارة الكونية القائمة على العلم و التقنية لا تترك الميتافيزيقا وراءها بل على العكس من ذلك إن الحضارة العلمية و التقنية ونظام المجتمع لهم من الشكل الذي تتخذه الميتافيزيقا اليوم . إن الاهتمام بأفلاطون من طرف هيدغر :"لا يمثل نهائيا الهروب من الواقع الذي يحدد حياتنا اليوم. بقدر ما هو مساهمة ضرورية لفهم ما يحدث في عصرنا ، لهذا كانت العودة إلى الإغريق بمثابة تخطي "dépassement للفلسفة الإغريقية نفسها بحيث لا نعني بقول هيدغر بالتخطي انجاز أحسن ما أنجزه الإغريق ، وإنما محاولة الولوج إلى غاية السكن الأكثر سرية لفكرهم الخاص ، أي البحث عن ذلك الذي لم يظهره التفكير منذ زمن الإغريق .

لقد حاول هيدغر تخطي الفلسفة الإغريقية من موقع أو من مقام البدء Commencement /arkhé بدء الفلسفة عينها. لهذا أقر بضرورة العودة إليهم . و لقد كان هوسرل أول مهندس لمثل هذه العودة على الرغم من انه لم يكن لحظتها يرغب في الإعلان عن تخطي للفلسفة الإغريقية ، وإنما أراد العودة إليها باعتبارها كذلك ، دون محاولة تخطيها و هذا ما صرح به هوسرل بالفعل في إحدى مراسلاته إلى صديقه " رودولف أتو " Otto مؤكدا : " ليس لزماننا من شوق أعظم من رؤية الأصول الحقيقية تعبر عن نفسها أخيرا ، وتبلغ المعنى الأرفع عبارتها الأخص " اللوغوس " Logos " إلا أن هوسرل قد ألمح إلى هيدغر الفكرة التي سيقدم من خلالها على تقديم الكيفية الأخرى لتخطي تراث الإغريق على خلاف ما فعله كل من هيغل و نيتشه.

إن حوار هيدغر مع الإغريق ارتبط تحديدا من خلال معاودة تفكير الأصل، أصل الفلسفة الأولى باعتباره مبدءا و أساسا principe et fond و لقد تمت العودة تحديدا إلى فترة قبل- السقراطية و مع فلاسفة أمثال : "هيراقليطس" Héraclite و"بارمنيدس" Parménide و"انكساندر"Anaximandre ...إلخ فلفظ الإغريق في نظر هيدغر " يعني المجابهة الضرورية مع هيراقليطس و بارمنديس كما لو أن هيدغر يحرص على أن يشير بأنه من المستحيل أن نكتب وان نتحدث عن هذا ( هيراقليطس ) دون أن نكتب أو نتحدث عن ذاك (بارمنديس)،فهما يتموقعان داخل الفلسفة الهايدغرية ،باعتبارهما الفيلسوفين الذين مهدا الطريق لظهور انفتاح الوجود الفلسفي . من هذا المنطلق سيكون الانفتاح على الإغريق من طرفه بمثابة البحث عن الأسس و الأصول لا غير ،عن كيفية تجلي المتعذر عن الظهور طوال تاريخ الفلسفة لأنها أقامت نسيا منسيا من قبل الفكر عموما.

إن العودة إلى الإغريق هو بمثابة العودة المؤسسة بدء جديد للفلسفة ليكون بذلك هيدغر قد حاول طرق وبصورة جذرية الأرض التي وقف عليها هوسرل دون أن يعمق هذا الأخير النظر في أساسها .وما كان عليه إلا إتمام المسألة الجوهرية داخل الفلسفة ، التي غفل عنها هوسرل ولن يحصل هذا الطرق إلا عبر الفينومينولوجيا. طبعا لا يمكن: " للنهاية أن تعطي بدءا و إنما وحده البدء بالنسبة إلى هيدغر قادرا على منحنا بدء في تجدده ،البدء الدائم، فالعودة إلى الإغريق لم تكن مجرد إحالة أو رجوعا يجب العودة عليه ،فإذا كان البدء الإغريقي هو ضرب من الابتداء للبدء الفلسفي الأول المتمثل في الميتافيزيقا فإن هذا البدء سيمثل الفكر الجديد".

فالأمر عند هيدغر يتعلق بضرورة تخطي الإغريق أنفسهم ذلك لأنهم فهموا الوجود باعتباره ما يوجد حقا من موجود بداخل الموجود ،بالإضافة إلى ذلك فكروا  الاختلاف القائم بين الوجود و الموجود. " لكنهم لم يكونوا على قدر نفسه من سمو حقيقة الوجود و لم يثبتوا بأن النسيان كملمح أساسي لتجليه وظهوره الخاص به" فالإغريق من وجهة النظر هذه ليسوا أبدا من وراءنا ،بقدر ما هم أمامنا.

ومن هذا المنطلق فإنه لما سئل "بوفريه"Beaufret لماذا هذه العودة الدائمة إلى الإغريق داخل فكر هيدغر؟ أجاب قائلا :لأن الإغريق كانوا دون علم منهم ، المهندسون الأوائل للوجود و بالفعل فمن خلال لغتهم فقط أمكن لهيدغر أن يفهم قرابة الكينونة ويدركها وبصفها موطنا للموجود ذاته.

ليس هيدغر إذا مجرد مؤرخ للفلسفة حاول قراءة مساراتها و إعادة ترميم التصدعات التي طالت النظام الفلسفي عموما . وإنما فكره منصب أساسا على أسس متجددة فأنزلها من عالم المجرد كما دأبت على ذلك إلى معترك الحياة بكل ما تحمله من تناقضات و ليس غريبا أن نجد " فينك Fink"يعلن في مقدمة حواره مع هيدغر حول "هيراقليطس" قائلا : " من خلال حوار مارتن هيدغر مع الإغريق في العديد من مؤلفاته ،يمكننا أن نتعلم كيف أن الأشد بعدا يصبح قريبا وأن الأكثر ألفة يصبح غريبا، وكيف أنه سيكون من الصعب علينا الوصول إلى نهاية تأويل أكده الإغريق و الاستئناس إليه فالإغريق بالنسبة إلينا عبارة عن تحد هائل ومرعب "

إن هيدغر هو الفيلسوف الأول الذي منح وجاهة للتراث الإغريقي من خلال جعل الاشتغال عليه ذا أهمية جليلة، وهذا ما ميزه عن باقي أو لنقل عن جميع الفينومينولوجين منذ وقت مبكر . لم يكن المنعطف "الهايدغري" المنجز من خلال العودة إلى الإغريق انقطاعا في فكره وهذا ما سنحاول الوقوف عنده بصورة معمقة في دراستنا هذه . إنما كان تعبيرا عما واجهه من عدم ملائمة في تأويل الذات المنجزة من قبل هوسرل المتأخر. وما موضوعة تخطي الميتافيزيقيا إلا نتيجة لتوجهه نحو البدايات الإغريقية ،فالفكر الإغريقي ككل يقول غادمير " يتمتع بالإبداع الأصيل و على الرغم من أن سؤاله المتعلق بالوجود ظهر حتى ذلك الوقت على أنه دائما سؤال يتعلق بوجود الموجودات فقط ،فإن هذا السؤال مع ذلك لم يكن قد سيق بعيدا عن الخبرة الأصيلة للـ " وجود – هنا" Da-sein و الحقيقة"Léthéa **A**-" فلقد حاول هيدغر تدمير الجانب المنطقي المحايث لوعي الذات الترسندنتالية المؤسسة من قبل هوسرل ، و ذلك عبر الفكر الإغريقي باعتباره فكر خصبا و أصيلا شمل تساؤلات متنوعة عن البدء الأصل الوحدة الواحد التعدد الوجود الكلام و اللوغوس وإنها محاولة تتجه نحو انتزاع طريقة الإغريق من قبضة أعرافنا الفكرية الحديثة و التي أضاعت أصالتها ."

هنا تكمن أصالة الفينومينولوجية الهيدغرية في انعطافها على التراث الفلسفي الإغريقي لفهم الفينومينولوجيا نفسها في الموضوعية. و من ثمة إنها لا تجد مصدرها في ال"دازين" وإمكانات ال"دازين "وثانيتها : أنها تمنع نفسها من الولوج إلى داخل الإشكالية الفلسفية للوجود الحاسم إلى الدارين الذي منه وإليه توجد الفلسفة". و عليه من خلال وقوفنا عند دلالة كل من مفهوم الظاهرة Phanomen ومفهوم اللوغوس ،فإنه بإمكاننا القول بأن الفينومينولوجيا هي الميدان المعرفي و الأنطولوجي الذي لم يكن فهم دلالته من خلال تجزيء أو تقسيم وحداته إلى ظاهرة و علم " لوغوس " ذلك لأن الفينومينولوجيا ليست من نفس دلالة ومعنى السيكولوجية ، السوسيولوجيا ، البيولوجيا و الثيولوجيا .بحيث أمكننا القول بأنهم : علم المجتمع ،علم النفس ،علم الحياة ،وعلم الدين .

إن هيدغر يفهم الظاهرة فهما إغريقيا مبتعدا بعض الشيء عن مفهومها الكانطي .فهي لا تتحدد في أصولها الإغريقية بالكشف و الانكشاف، و التجلي .و لأن الظواهر لا تكون منكشفة بصورة مباشرة فإن ظهورها لا يتحقق إلا نتيجة مدى قدرتنا على الاقتراب منها وهذا بتقدير هيدغر يحتاج إلى جهد كتفسير الظاهرة و كشف المعنى المتواري و المختفي ، القادر على الانكشاف في كل لحظة. ومنه التمكن من إيضاح قدراتها الفائقة التي لا تقف عند حدود فحص و البحث عن حقيقة ما يتماثل أمامنا أي في الحضور من ظواهر. و إنما تبرز حتى قدرتها على اكتشاف ذلك المتعذر عن الحضور و الظهور، و الذي يفضل الإقامة داخل الغياب. من هذا المنطلق سيفكر هيدغر القول الإغريقي باعتباره قولا بدئيا initial مبينا أصالة الفينومينولوجيا، بأنها تمتد لتتواصل مع الإغريق قبل أن يقوم مؤسسها هوسرل من تدشينها . إنها "الفلسفة الأولى "التي ألمح إليها الإغريق لكنهم للأسف لم يتمكنوا من إقامتها و بالتالي التمكن من تحقيق الأمل في أن تكون الفلسفة المنطق الكلي الذي تقوم عليه كل العلوم دون استثناء.

هنا يكمن الدور الهيدغري في معاودة تقويضdestruction القول Parole الإغريقي وهذا ما أبانه من خلال وقوفه عند مصطلح الفينومين Phénomène اللوغوس logos الحقيقة alethéa/Vérité ، يقر هيدغر بأن الانطولوجيا الحديثة ومن خلال انبثاق الفينومينولوجية منحت لها قاعدة الإشكال الأمينة إلا أنه وفي الوقت نفسه نجده يسارع إلى إبانة وإسقاط الضوء على النقائص الأساسية التي ما تزال تؤرق مفهومها " رب نقائص تعود عنده إلى اثنتين : أولهما أن المبحث الأول لهذه الأنطولوجية الحديثة هو وجود -الموضوع و البحث. و لتقريب صورة انكشاف الظاهرة وتجليها يرى هيدغر أن الفينومينولوجيا لا تفهم من الخارج وحده و لأن اللوغوس هو الأساس الذي يجعلنا نرى ماكان محتجبا، لما يحمله من قدرة على جعل المنحجب يخرج عن صمته ووحدته أي أن يخرج إلى انكشافه".

علينا يقول هيدغر أن نحرر :"الظاهرة من ميتافيزيقا الشيء في ذاته وأن نعود إلى الوجود موضوعا أساسيا بعد أن كان الشيء في ذاته فرضا ميتافيزيقيا فرض على الظواهر ضربا من الاختفاء و لقد كان هوسرل أبرز مؤيدي ومريدي هذا التصور لما اهتدى بموقف ميتافيزيقي لازم الفلسفة الغربية منذ ديكارت ،كانط وفيخته" فلما انفتح هيدغر في الفقرة السابعة من عمله " الوجود و الزمان " على مفهوم الظاهرة لم يكن قصده عرض في العموم الفينومينولوجيا بوصفها منهجية méthodologie ولا تقديم تفسير صوريا للظاهرة بل كانت مهمته مقتصرة على خلاف ذلك تماما . ارتبطت بتقديم مفهوم الفينومينولوجيا الظاهرة phénoménologie du phénomènes في مضمونها الواقعي، ومنه تمكنت من الانفلات من المفهوم الصوري والساذج للظاهرة .هذا مايعتبره" فرانسوا كورتين" Courtine بمثابة التحديد العيني concret لقضية الفينومينولوجا" .

إن لفظ الظاهرة لدى هيدغر لا ينعت موضوع البحث، لكن يشير إلى الكيفية التي تمنح لنا إمكان الوصف ، و تمكننا بدورها من موضعة thématisé الموضوع : " فعلم الظواهر لا يعني أبدا أن المواضيع الوحيدة التي يهتم بها هذا العلم هي الظواهر و إنما تشير إلى الكيفية التي تكون من خلالها المواضيع مدركة ومفهومة أي حسب : إظهارmonstration مشروعية مباشرة، فمن وجهة نظر صورية بإمكاننا نعت الفينومينولوجيا كإظهار للموجود مثلما يظهر إلى ذاته . لكن فقط داخل المفهوم الصوري و المفهوم القائم للظاهرة وهذا ما يتضمن أن مثل هذا التحديد للفينومينولوجيا هو في حد ذاته شائع وعام

لقد لعب مفهوم الحقيقة في بعده العتيق الأصيل دورا جد مهم في فهم حقيقة الوجود ذاته الحقيقة باعتباره [[1]](#footnote-2)alétheia فتفسير هيدغر ل"نيتشه " وتأويله لأشعار "هولدرلين" Holderlin مكنته من معاودة تفكير الكلام البدئي لفترة قبل السقراطية ف"نيتشه" هو المفكر النتائج العامة للميتافيزيقا التي تمكن من إظهارها في ماهيتها كعدمية، أما كلام هولدرلين :" حيث لا يوجد الهلاك ثمة الاعتقاد بما ينقذ" فإنه حسب هيدغر يدعون إلى عصر التقنية كإمكان لخلاص ما. فالشاعر يمنح لنا دائما إمكانا لمصير التسمية الجديدة للقول الذي يحمل ولا يملك أبدا دلالة أنطو-ثيولوجية ." ولقد ارتبط بدء المنعطف لدى هيدغر بالبحث عن ماهية الحقيقة مثلما أشرت إلى ذلك وتحديدا بدء مع مساءلة الحقيقة داخل الإرث الأفلاطوني ،وبالأخص داخل "أمثوله الكهف" l’allégorie de la caverne لا لشيء إلا لأنها وكما يقول هيدغر :" أصبحت منذ ذلك الحين صياغة لمفهوم الحقيقة بوصفها صحة التصور المعبر عنه بالقول هي الصياغة الملزمة للفكر الغربي كله الذي تحول منذ أفلاطون إلى ميتافيزيقيا فأصبح كله أفلاطونيا " وربما قد بدء أفلاطون في صياغة عالم الحقيقة القائم على الميتافيزيقيا عندما حاول تحديد مهام الفيلسوف داخل المدينة : " فإذا كان الفلاسفة أولئك الذين يمكنهم أن يدركوا ما هو أزلي على حين أن من يعجزون عن ذلك ويضلون طريقهم وسط الكثرة والتغيير لا يستحقون هذا الاسم ، فأيهما ينبغي أن يسند إليه الإشراف على الدولة حسنا إلا ترى فارقا بين العميان و بين من عدموا يحق معرفة كل حقيقة ومن افتقرت روحهم إلى كل نموذج واضح للحقيقة وعجزوا عن أن يتأملوا جميع تفاصيل هذه الحقيقة المثلى ويرجعوا بأنظارهم إليها دائما".

صار من المتعذر إذا فهم حقيقة الإنسان بعيدا عن فكرة ال"ايدوس" Eidos ذلك لأنه ومنذ اللحظة الأفلاطونية تحدد الإنسان على أنه ماهية ، ومن هذا المنطلق سيرتبط جهد هيدغر على استدراج أفلاطون إلى القراءة الفينومينو- أنطولوجية و لأجل ذلك أخذ نص "أمثوله الكهف" الأفلاطوني مجالا للاشتغال.

حاولت الفلسفة و منذ بدءها إحداث تقارب جوهري بين الحقيقة و الوجود وحاولت كل الفلسفات وضع لنفسها عبارات واحدة ترى من خلاله ما هو حق لكن وعلى خلاف هذه الأطروحات سيعتمد جهد هيدغر على ضرورة الإقرار بالانفلات من سؤال متى ؟ متى يكون هذا الشيء حق ؟ وطرح بديلا عنه سؤال ماذا تكون الحقيقة ؟ وهكذا سيحدث هيدغر انعطافا داخل فكره من خلال تمكنه من نقل سؤال الحقيقة من فضاء المنطق والحكم محكوم مثلما يشير إلى ذلك "غرايش" Greisch :" بنظرية القضية الصحيحة أو الكاذبة ليلامس أفق الحقيقة باعتبارها ظاهرة Phénomène كموضوع للتعاطي الفلسفي، و سيسمح هذا الانتقال بالدخول إلى منطقة الإشكالية الأساسية للأنطولوجية الحقيقية فالمضمون التقليدي المقدم لمفهوم الحقيقة في بعدها الأنطولوجي جعل منها لا تحجبا non-voilement ولإدراك حقيقة هذا المفهوم سيظهر هيدغر إعمال التقويض لمفهوم الحقيقة".

إن البحث عن سؤال الحقيقة باعتباره منعطف مرتبط في الواقع الأمر لدى هيدغر بموضوع آخر حاول تناوله بالبحث و الدراسة "ماهية الحقيقة" وجعلها بالتالي موضوعا للتساؤل . لأن الفهم التقليدي في عموم مع تناولها من موضع متعدد مانحا لها العديد من المعاني. فالحقيقة هي المعرفة ، وما النظرية التأملية إلا موضعها حيث القضية proposition ولها صلة متميزة بالحدس المستند على التطابق و التماثل مع مملكة المعرفة " .

من هذا المنطلق فان القراءة الفينومينولوجيا لمفهوم الحقيقة باعتبارها ظاهرة ستقدم لنا "أمثولة الكهف" على أنها محكومة في كليتها بمفهوم الحقيقة باعتبارها مجرد لا-خفاء و لا يمكن البتة القول أن الكهف هنا يصف لنا بلغة ملموسة جوهر التكوين الذي مس بدوره جوهر الحقيقة. فالرمزية الأسطورية في الأمثولة تضع الحقيقة أمام إمكانات متعددة وتدفع بالوجود إلى تحولات تبدأ من لحظة التحول الأولى إلى لحظة الأخيرة التي تصبح فكرة مطلقة ، لهذا سيكون بالنسبة إلينا مقصدا أفلاطون مرتبط بمدى قدرته على تمكين الايدوس من الانقشاع،فهو( أي الايدوس) ليس رهبن شيء أخر يوجد وراءه فتظهره لأنه في ذاته ما يظهر و ليس عليه إلا أن يظهر ويلمح بذاته "

ففي أمثولة الكهف يحضر الكل. تحضر الشذرات و اللا-احتجاب ويظهر بارمنديس وهيراقليطس. من مواطنيها ،إن أفلاطون حسب هيدغر يحمل قدرة فائقة على تحويل" الحدثي" facticielle موضوعا للتأمل العقلاني قصد مجاوزته و الارتفاع عن مستواه الحسي إننا لا نرى بقول أفلاطون في محاورة "فيدون" Phédon العدل في ذاته بالحس و لا الصحة في ذاتها أي جوهر كل شيء منظور إليه في ذاته، وإنما لا تصل إليه إلا النفس حينما تسعى إليه بفكرها الخالص فالعقل وحده القادر على الوصول إلى الوجود و الحقيقة " .

ولما كان الخطاب الفلسفي هو دائما خطاب حول ما لم يقل بعد أي ما سكت عنه الفيلسوف ،فإنه بإمكاننا القول أن أمثولة الكهف بالنسبة إلى هيدغر سكتت عن تحول في تحديد ماهية الوجود الذي وظفها هيدغر بعد أن أحدث المنعطف، بحيث لم يعد الوجود يحمل المعنى الذي درجة الفلسفة . الكلاسيكية على الوقوف عنده خاصة المعنى الذي طرحه"كيركغارد " Kierkegaardالوجود باعتبارها دال على وجود الكائن وقيامه العقلي و الواقعي كما لا يعني نهائيا الوجود بالمعنى الذي طرحته الفلسفات الوجودية كتحقيق للذات ،و اهتمام الإنسان بذاته وبمشاريعه و إمكانياته .

إن الوجود EK-sistenz يعني الخروج إلى انكشاف الموجود و التعرف عليه يعني الإقامة في حقيقة الموجود ،والحفاظ على هذه الحقيقة. و مع أن هذه الأخيرة " الأليتيا " Alétheia قد تكون موضوع تجربة أصيلة في أمثولة الكهف ،فإنه بامكاننا القول كما يؤكد ذلك هيدغر أن الحقيقة اكتسبت ماهية أخرى غير تلك التي ارتبطت بـ اللا-خفاء وهذه الماهية التي تحتل مكان الصدارة تتمثل في الرؤية التي تتجلى عبر ما تقوم به النار في "أمثولة الكهف" من إضاءة وإنارة فكل شيء يعتمد على الظهور و التمكن من رؤيته. وعليه صار كل شيء متوقف على الرؤية وبفضلها صارت المعرفة وصارت الحقيقة صواب الإدراك و التعبير . حتى أنه بإمكاننا الذهاب وبلا شك إلى درجة ملامسة النقطة القصوى للتأويل الهيدغري فنقول مثلما يشير إلى ذلك "كورتين" courtine:" أن أمثولة الكهف تفتح أمامنا منفذ خاص بتجربة الإغريق مع الحقيقة حتى وإن كان أفلاطون وفضلا عن ذلك ينجز من دون أن يعبر عن ذلك تحديدا ومن دون علم منه : منعطفا حاسما داخل مفهوم الحقيقة مدشنيا بذلك انطلاقا من هنا إظلاما obnubilation نهائيا للمفهوم الأصلي للحقيقة . فبصورة عامة مثلها يشير إلى ذلك هيدغر " هذه الأسطورة ما كان بإمكان أن يحصل لها التأسيس على شكل الكهف إلا عندما استلهمت سلفا وبواسطة التجربة أساسية و التي هي بالنسبة إلى الإغريق مرتبطة بالحقيقة بكمون الموجود "

مع موضوعة فينومينولوجيا ال"لاتجلي" يبدو أن هيدغر قد بلغ في النهاية إلى أقصى حد لامسه طريق فكره ،فاللفظ لم يظهر في الواقع إلا مع نهاية فترة تناوله بالقراءة للنصوص الخاصة بتأمل معادلة اللغز البارمنيدية :" إن ما هو هو فعل فكر و وجود في آن". لم بكن "الوجود و الزمان "كافيا بالنسبة إلى هيدغر فعلى الرغم من أننا نجد فيه نوع من العودة retour إلى الانفتاح مجددا على الوجود لكن لم يكن بعد ثمة مونة حقيقية بتاريخ الوجود ها هنا تكمن السذاجة الخاصة بالتدمير الأنطولوجي لهذا قصد التمكن من التعادل الوجود الحقيقي ،يقترح علينا هيدغر قراءة لنصه " في صلب الحقيقة " le cœur de L’alétheia الذي ألفه في شتاء 1972-1973 . حيث يتكلم عن بارمنديس ويدعون إلى الإصغاء إلى قوله :" فأن يكون الطريق غير مألوف . هذا يدل أن الأمر مرتبط بما يوجد من صعوبة للتفكير فيه . نحن هنا طبعا في موقف النفاد إلى الوجود مثلما تفعله عبارة " الحدس المقولي " لدى هوسرل، إلا أن هذا النفاذ لا يقع من خلال التحليل الحسي و الفهم المحمول من قبل نظرية المعرفة ،وإنما يقع ونحن تحت وقع صدى "بارمنديس". يتعلق الأمر بـQu’est ce qui est ? من هو ؟ الإجابة يقول بارمنديس:" ليست الموجودات و إنما الوجود" non pas les étant mais l’être  ،إنه في الواقع وجودا ، فبارمنديس يقول إذا بأن الوجود هو « l’estre est

إن عودة هيدغر إلى كلام "بارمنديس" هو بمثابة عودة إلى بدء أكثر من بدء .إن العودة إلى البدء يتبع طريق الانعطاف Umweg على فكر بارمنديس. لكن الأمر لا يتوقف فقط عند مجرد عودة أو رغبة إلى التقاء إلى الوجود الحقيقي الذي تناسبه الفلسفات الكلاسيكية و إنما دخول إلى بعد الـ Lichtung [[2]](#footnote-3) من خلال الإصغاء إلى بارمنديس فمع العودة إلى القول ال"بارمندي" ارتبط الأمر بالبحث عن إيقاع أو صدى" الوجود -هنا "da-sein و الانفراج . إن هيدغر يؤول قول بارمنديس بهذه الصورة :" لقد تم وضع انبثاق الحضور وانكشافه مباشرة تحت صرامة الحقيقة ،الحقيقة حالة الـ-لا- انسحاب non-retrait يجب أن نفكرها كـ "الانفتاح" عينه للإنفراج الذي يترك الوجود والفكر يحصران داخل حضوره الواحد و الآخر و الواحد للآخر " السؤال المطروح حسب هيدغر يرتبط إذا وبصورة كلية بمدى قدرتنا على السماع و بأذن إغريقية القول الإغريقي " لا بد أن نقولها مفكرا إن من الكائن الكون " الوجود " كون " وجود" هو فعلا في حين أن العدم ليس " .

من هذا المنطلق بإمكاننا تحديد مهمة الدازين لدى هيدغر في إمكان نقل موضعه داخل الوعي ،في حين الفلسفة هي التي تموضع المكان داخل الوعي ،تنقل كل شيء مستبدلة المكان المعلق على ذاته البارز في الوعي بما تم نعته لدى هيدغر بالدازين . وبإمكاننا هنا فهم ما الذي يعنيه تحديدا أن يكون الوعي مؤسسا بداخل الدازين .ومع استدعاء طريقة الفكر والفينومينولوجيا. يرجع هيدغر إلى هوسرل مؤكدا في نقطة بدءه كفيلسوف كانت مع حصوله (أي هوسرل ) على عمل برنتانو:" السكولوجيا من وجهة نظر تجريبية "في حين يشير هيدغر إلى أن نقطة انطلاقته الفلسفية كانت نفسها التي انطلق منها هوسرل ، لكن الخلاف كان قائما حول العمل أو الكتاب الذي تناوله بالقراءة كل منهما

لإنجاز تفسيرا ميتافيزيقيا لعبارة ماركس يجب الالتفات لقول هيدغر عليه السؤال الذي انطلقنا منه والمتمثل في : سؤال الوجود ،وكيف بإمكاننا النفاد والولوج إليه :" "في تصور أن النفاد في مجال الدازين ـ النفاد الذي توقف عنده سؤالنا في حصة الأمس ـ هذا النفاد الذي يجعل الإلحاح داخل انفراج الوجود ممكنا بعد وممكنا بفضل الانعطاف نحو العودة إلى البدء، لكن هذه العودة غير مرتبطة بالضرورة بالعودة إلى بارمنيدس ، وإنما يجب الانعطاف نحو بارمنيدس" .انعطاف له وقع داخل صدى بارمنديس ،وقع بماهو السماع الذي يسترق السمع لكلام بارمنيدس انطلاقا من لحظتهما المعاصرة ، لحظة قدر الوجود.

طبعا إن تأكيد مغادرة هيدغر لأرض الفينومينولوجيا لا يعني البتة فهم مشروع هيدغر المدشن تحديدا في عمله: "الوجود والزمان" باعتباره قلبا أو خروجا مطلقا عن أرض الفينومينولوجيا الموعودة ، ولا يمكننا بالإضافة إلى ذلك النظر إليها (أي المغادرة) كإعلان صريح من طرف هيدغر على:"الانشقاق أو الانسحاب وإنما هو توجه نحو " أنطو ـ فينومينو-لوجيا " وليس أبدا توجه نحو الفينومينولوجيا الهرمينوطيقية . إن مهمة العمل الفاتحة الوجود والزمان ، تحددت بضرورة التفكير وبصورة أكثر أصلانية الفينومينولوجية هذا ما أكده في حواره مع ياباني." أي الالتفات إلى أهميتها ودلالتها . إن الفينومينولوجيا يقول هيدغر في عمله: "طريقي إلى الفينومينولوجيا" 1963 ليست اتجاها ،وإنما هي تفكير الإمكان الذي يتحول باستمرار داخل زمانه ،من هنا فقط تقيم الفينومينولوجيا وتنساب مع نداء الذي يفكر فيه.

تمنح لنا نصوص فرابيورغ إمكان فهم ويعمق ملمح الانطولوجيا الأساسية بعد "الوجود والزمان" يبدو أن قراءة هيدغر للكتاب الرابع من الأبحاث المنطقية، وتحديدا الفصل السادس منه، مكنته من التعجل بالإعلان عن ميلاد هذا النوع من الأنطولوجية الكلاسيكية ، و لربما النص الوحيد الذي كان دالا على النقاش العميق الذي أجراه هيدغر مع هوسرل حول طبيعة الفينومينولوجيا كان ذلك الذي ألقاه سنة 1928المعنوي ب "المعنى ومهمة البحث الفينومينولوجي"،القصدية بمعنى هوسرل ،ولقد تمحور النقاش حول معنى القصدية . إن القصدية بمعنى المقدم من طرف هوسرل الذي نص تحديدا دورا مركزيا في تشكيل وبلورة هيدغر ذلك:" الذي سيغدو بالنسبة إليه في طور التشكيل في موضوع الفينومينولوجيا"، فالدخول في حوار مع هوسرل من طرف هيدغر وبالأخص حول مفهوم القصدية لدى هوسرل أفاده بصورة جيدة لانجاز مدخلا إلى سؤال الانطولوجيا الأساسية .

لكن هل يدل هذا السلوك على وجود استمرارية حقيقة بين هوسرل وهيدغر ،بمعنى تعميق ذلك الذي يجعل من القصدية ممكنة ، أم ثمة بالأحرى قطيعة أو هوة بين العلاقة القصدية بالنسبة إلى الكائنات والترسد نتاليه المفتوحة على العالم ،وسؤال وجود الموجودات (الكائنات)؟. يحدد هيدغر القصدية باعتبارها :"سلوك الذي من خلاله ينتجه القصد نحو مقصود" طبعا هيدغر هنا يلتجئ وبصورة واضحة إلى استعمال الاشتقاق اللاتيني الذي يمنح له تغطية ولو مؤقتة. وبواسطة "حجاب عفيفvoile pudique" ،كل ما يفصل التصور الهوسرلي للنوئيس noèse والنوئيم noème. بالإضافة إلى ذلك نجد هيدغر يتجنب أيضا بصورة نسقيه الحديث عن" أفعال القصدية "مفضلا نعت أفعاله "بسلوكيات وتصرفات" قصدية .

إن الذي سيقود مشروع هيدغر نحو فينومينولوجيا أنطولوجية. القيام بوصف ألـ"المقصود" فينومينولوجيا ،وهذا ما يمنح بدوره فرصة طرح أسئلة حول الدلالة الأنطولوجية للقصدية، فهيدغر عندما يتحدث عن لفظ القصد intention نجده يميزه انطلاقا من دلالتين:

1) الموجود ذاته.

2) الموجود منظور إليه في كيف قصد وجوده القصداني ،طبعا هنا نجد هيدغر هنا يسير على خطى هوسرل ،ذلك لأن هذا الأخير يبقى و أن أبان مثل هذا التمييز في عمله البحوث المنطقية، و بالأخص في البحث الخامس فقرة 17 على القول بضرورة إنجاز التمييز التالي:"الموضوع مثلما هو مقصود.و من جهة أخرى بساطة الموضوع الذي قصد .".

و عليه فإن التجربة المباشرة للمنهج الفينومينولوجي تعتمد على الحوارات المنجزة مع هوسرل ،اد منحت لهيدغر إمكان تحديد مفهوم حديد للفينومينولوجيا و هذا ما توضحه الفقرة السابعة من "الوجود و الزمان" بحيث تم العودة إلى المفاهيم الأساسية للفكر الإغريقي .

ابتداء من سنة 1919 بدء هيدغر يلتفت عمليا إلى تجريب لفكر الفينومينولوجي جاعلا من قراءاته المتنوعة لفلسفة أرسطو الأرضية للتحقيق .بعد أن اقترب بصورة واضحة من أستاذه "هوسرل"و بالأخص الخطة الّتي مكنته من إعادة قراءته ،و اكتشاف البحث السادس من البحوث المنطقية. إذ تجلت أمام هيدغر حقيقة ما تحمله الدلالة المتعدّدة للموجود ،فتبين له أن ما يتعلّق بفينومينولوجيا أفعال الوعي المكتملة باعتبارها تجلي للظّواهر تم تفكيرها لصورة أكثر أصلائية داخل الفكر الإغريقي و بالتحديد مع أرسطو بالكيفية التي أظهرها مفهوم الحقيقةalethéia كانفتاح : "إن الذي تمكنت الأبحاث من اكتشافه كصيانة الفينومينووجيا لسند الفكر يتّضح الملمح الأساسي للفكر الإغريقي لكي لاتقول الفلسفة باعتبارها كذلك " .

الفينومينولوجيا هي المنهج أو الطريق المفتوح نحو فهم سؤال الأصل سؤال البدء الإغريقي المتمثل تحديدا في سؤال الوجود. لهذا كان أرسطو وكل فلاسفة الإغريق خاصة هيرافليطس (اللوغوس) ،وبارمنيدس (الحقيقة) هم من قاموا بتأسيس حسب هيدغر الفينومينولوجيا:" إنهم الممثلون الفعليون والحقيقيون للفينومينولوجيا الحق، فمن أين؟ وكيف؟ وعلى أي أساس أي مبدأ فينومينولوجي يتحدد ذلك الذي يجب علينا إثباته باعتباره السؤال عينه هل في الوعي وموضوعيته، أو بالأحرى هل في الموجود من خلال انسحابه ،ولا انسحابه؟، إن طريق التساؤل أكثر طولا مما كنت أعتقد يقول هيدغر ،ذلك لأنه يفترض التوقفات والانعطافات والإنزياحات"

إن زمن الفلسفة الفينومينولوجي صار متخطيا، وأصبح شأنه شأن باقي التيارات والمذاهب متميز من خلال وجهة نظر تاريخية لا غير .لكن الفينومينولوجيا الخاصة بنا حسب هيدغر ليست أبدا كذلك:" وإنما هي فكر الإمكان الذي باستمرار يتم تعديله، فلم يعد جوهر الفينومينولوجيا مرهون بتحقيقها كاتجاه فلسفي أكثر من امتلاك الواقع للإمكان ،إن فهم الفينومينولوجيا يقيم فقط داخل فهم إمكانياتها. مع هيدغر سيبدأ البدء ي تحقيق الفينومينولوجيا باعتبارها في حد ذاتها منهجا ،ولم يحصل له ذلك إلا عندما اتجه إلى الفهم والتأويل، ولم يكن هوسرل بالنسبة إليه إلا ميتافيزيقيا تقليديا :"ذلك لأن الإنعطاء donation الذي يقترحه هوسرل في بحوثه المنطقية لم تكن كافية لحل أزمة مثل "الوجود" فالعالم ليس أبدا ما" يتمثله الأنا أفكر المحضة "و إنما هو موجود لا ينفصل عن سؤال الوجود ". فالوجود لم يكن هاجس هوسرل مثلما أكدنا على ذلك في المبحث السابق، ولا هاجس علمه العارم طالما أن العلم غير قادر على إدراك الاختلاف الأنطولوجي، ولم يهتم نهائيا بالانطولوجيا علما للوجود "إن فكرة العلم عموما في النطاق الذي ننظر إليه كإمكان للوجود تبين أنه ثمة بالضرورة نوعين من العلوم الممكنة :علم الأنطوقي ـ المعرفيscience ontique ، وعلم الأنطولوجي ـ الوجود science ontologique الفلسفة" وحتى وإن احتفظ هيدغر يفكر العودة أو الالتفات ،فإنه يقر بضرورة العودة إلى الأصول (الوراء).فلقد مثلت العودة إلى الأصول أسلوب هيدغر في التعامل مع الميثاقريقا.إذ أكّد على تخطي لهده للأخيرة من دون العودة إلى البدايات الأولى .و إلى اللّحظة التي سقط فيها الاختلاف الإنطولوجي .بداخل الوجود ، الموجود في النسيان .

ففي عراك الفلسفة مع الوجود وجدت نفسها (أي الفلسفة الإغريقية) تدخل في عراك مع آخرها ممثلا في السوفسطائي sophiste فالفهم الأصيل الذي كانت بصدد البحث عنه وتثوق بلوغه صار تحت تهديد دائم من قبل تمظهر المحض للفهم. تمظهر ارتبط بما هو عادي مثبت بحاجات اليومية وبالانشغالات اليومية ،لهذا ولكي ينجز هيدغر تمييزا للأصلي عما هو لااصلي دخل في مناقشته أعاد من خلالها الحوار الإغريقي بين الفلسفة و السفسطائية :" أن هذا العراك لا يمثل عراكات للفلسفة مع آخرها فقط وانما ارتبط أيضا بعراك الفلسفة مع الفلسفة عينها لهذا بامكان القول مرة أخرى أنه وفي عراكها لأجل الوجود ستكون الفلسفة الإغريقية مهددة من طرف بقايا ما هو يومي." [[3]](#footnote-4)

لقد حققت الفينومينولوجيا من هدا المنطلق تأصيلا لذاتها عبر سؤال المنهج وذلك بالتفاتها إلى الأشياء عينها حيث يبدي الشيء المتماثل أمامنا العديد من الفتوحات ، لهذا صرنا نعتقد أن مثل هذه العودة إلى الأصل تساهم بشكل فعال في تخليص الفلسفة من مأزقها الذي ورطها فيه ذلك التراكم الساعي باستمرار إلى طمس ومحو حقيقة الفلسفة فإذا كان الإغريق قد دعوا إلى الالتفات إلى الأشياء التي تمنح إليهم داخل محيطهم اليومي وتكمن نجاعة هذا النوع من الانطولوجيا في كونها تحلي وتظهر اليومي وهي نقوم بذلك بصورة جد ضمنية ولربما ستفتح لنا دروس فرابيورغ التي سيظهر معها هيدغر الثاني، هيدغر الانعطاف عزما آخر لقراءة هذه العودة من خلال أهم مفهوم أسس له هيدغر وهو" المنعطف" Tournant /kehre.

1. -a**-**léthéia يفهم هيدغر السابقة a- في الكلمة الإغريقية a-léthéia حسب ونفي للخفاء لذلك يترجم هيدغر هذه الكلمة إلى الألمانية renverborgen heit انتزاعها من الخفاء إن الحقيقة باعتبارها لا خفاء يتم دائما انتزاعها من الخفاء ولذلك فهي لا يمكن ان تكون انكشافا محضا متخلصا تماما من الخفاء لأن الانكشاف لا يمكن أن تكون أن يحدث إلا في حركة مضاءة للإخفاء فالحقيقة لكي تحدث تحتاج إلى خفاء وبدون خفاء ليس تمت انكشاف أصلا بذلك فالخفاء ينتمي إلى الحقيقة إنه أخص ما يخصها... [↑](#footnote-ref-2)
2. - lichtung للإنفراج / الانفتاح ، إن العالم يفسخ lichtet مسالك الوجود من حيث إنه يمنح الموضوع لاختيار إمكانات ونهج الطرق الملائمة لها وتكمن عملية الانفتاح هذه في ان العالم يوفر مكانا لهذه الطرق باعتبارها امكانات لبسط حريتنا وتتضح دلالة lichtungانطلاقا من معناها الأصلي في اللغة الألمانية حيث تدل على مكان في الغابة الكثيفة يعرقل الرؤية و الحركة ،ينشأ في أغلب الأحوال نتيجة قطع بعض الأشجار أي خلو منها يسمى هذا الموضوع lichtung للإنفراج. [↑](#footnote-ref-3)
3. - Taminiaux opcit p 105 [↑](#footnote-ref-4)